عصـور ـ تصنيف ج- المجلد 20/ العدد03 ديسمبر 2021
EISSN 6278-2600 / ISSN 1112- 4237 الإيداع القانوني 2002- 464 Depot légal
http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/167

معرف الكائن الرقمي للمقال:10.54239/2319-020-003-009(DOI)

محطات من تاريخ سوريا ولبنان خلال القرن 19م على ضوء جريدة الرائد التونسي

Stations from the history of Syria and Lebanon during the 19th century in the light of the newspaper EL- Raed El-Tunsi

د. فاطمة الزهراء رحماني *

جامعة الجزائر02/ الجزائر

rahmani.fatmazohra2020@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2021/10/20 تاريخ المراجعة: 2021/10/30 تاريخ القبول:2021/12/10

الملخص:

ساهمت المتغيرات والتطورات السياسية والفكرية التي شهدتها سوريا ولبنان خلال القرن التاسع عشر الميلادي، في اهتمام العديد من الصحف العالمية -وبالأخص العربية منها – برصد وتتبع تلك التحولات، وفي مقدمة تلك الصحف جريدة الرائد التونسي الصادرة بتونس سنة 1860م. حيث خصصت هذه الجريدة حيّزا من أعدادها خلال عشر سنوات الأولى من صدورها للحديث عما كان يجري في المنطقتين من أحداث. ومن هذا المنطلق؛ تسعى هذه الدراسة إلى استعراض وتحليل ما كتبته جريدة الرائد التونسي عن أهم المحطات التاريخية في سوريا ولبنان خلال القرن التاسع عشر الميلادي، وبالتحديد عن الفتنة الطائفية والنهضة الفكرية.

الكلمات المفتاحية: الرائد التونسي؛ سوريا؛ لبنان؛ النهضة؛ الفتنة الطائفية، تونس؛ القرن 19؛ الجرائد.

* فاطمة الزهراء رحماني، جامعة الجزائر02.

Abstract

The political and intellectual changes and developments in Syria and Lebanon during the 19th century have contributed to the interest of many world newspapers - and the most Arab ones - in monitoring and tracking these transformations. The newspaper EL-Raed El -Tunsi was published in Tunisia in 1860. Within the first 10 years of its publication, this paper devoted a space to the events taking place in the two regions.

In this sense; This study seeks to review and analyse what the Tunisian newspaper Major wrote about the most important historical stations in Syria and Lebanon during the 19th century, specifically about sectarian discord and intellectual renaissance.

Keywords : EL- Raed El -Tunsi; Syria; Lebanon; Renaissance; Sectarian strife**;** Tunisia; 19th century; News Papers.

- مقدمة:

تعدّ الصحف والجرائد العربية منذ مطلع القرن التاسع عشر الميلادي كإحدى مقومات النهضة الفكرية التي برزت نتيجة للقاء الحضاري الذي حدث بين العالم الإسلامي والغرب الأوروبي، فهي تمثل أهم الأدوات والوسائل التي ساهمت في نشر أخبار ما كان يجري في العالم على كافة المستويات السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية خلال تلك المرحلة سواء أكان ذلك في العالم الإسلامي بما فيها الدولة العثمانية أو في الدول الأوروبية .

وقد مثّلت جريدة الرائد التونسي الصادرة بتونس سنة 1860م نموذجا لتلك الصحف العربية التي أولت اهتماما برصد وتتبع أخبار بعض البلدان العربية كمصر وبلاد الشام والجزائر، وبعض الدول الأوروبية مثل فرنسا وروسيا وإنجلترا وبروسيا وغيرها. رغم أنّ الغرض الأساسي من إنشاء الجريدة في بادئ الأمر تمثّل في تبليغ قرارات وأوامر الحكومة التونسية إلى كافة سكان البلاد .

تأتي أخبار سوريا ولبنان في مقدمة تلك البلدان التي خصصت لها جريدة الرائد التونسي حيزا لا بأس به لنقل المتغيرات والتطورات التي شهدتها المنطقتين لا سيما في القرن التاسع عشر ميلادي. ولعلّ هذا الاهتمام راجع إلى مواكبة صدور أعداد هذه الجريدة الأولى لأهم الأحداث التاريخية في سوريا ولبنان، سواء أكان ذلك على المستوى السياسي كالفتنة الطائفية أو على المستوى الفكري كالنهضة العلمية والأدبية. علاوة على تحقيق هدف الجريدة الرئيسي المتمثل في دفع النخبة التونسية نحو الأخذ بالمدنية الغربية من أجل تنفيذ التجربة التحديثية في تونس، تأسيا بما فعلته النخبة السورية واللبنانية.

ومن هذا المنطلق؛ تسعى هذه الدراسة للوقوف عند أهمية جريدة الرائد التونسي في التأريخ للأحداث التاريخية خارج حدود تونس، وذلك من خلال استجلاء الصورة التي قدّمتها الجريدة عن سوريا ولبنان في المجال السياسي والاجتماعي والفكري خلال القرن التاسع عشر الميلادي.

وللإجابة على هذه الإشكالية تم الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي، وذلك من خلال تتبع أعداد جريدة الرائد التونسي في سنواتها الأولى. كما تم تقسيم الموضوع إلى ثلاثة محاور: الأول تم فيه التعريف بجريدة الرائد التونسي وذلك من خلال التطرق إلى منشأ الجريدة وطريقة صدورها، والغرض الذي أنشأت من أجله. أما المحور الثاني؛ فتم تخصيصه للحديث عن الفتنة الطائفية في لبنان ودمشق سنة 1860م. وبالنسبة للمحور الثالث؛ فتم التطرق فيه إلى مقومات النهضة الفكرية في سوريا ولبنان خلال القرن التاسع عشر والتي تجلّت في انتشار المدارس التعليمية وتأسيس الجمعية العلمية السورية وانتشار الصحف والمجلات.

1- التعريف بجريدة الرائد التونسي:

1-1- منشأ الجريدة وطريقة صدورها:

برزت الحاجة خلال ستينيات القرن 19م في تونس إلى إصدار الجرائد والصحف وذلك في إطار السياسة التحديثية التي انتهجتها نخبة مستنيرة زمن محمد الصادق باي (1859- 1882م) (الحبيب، 1951، الصفحات 350- 351)، حيث صدرت أول جريدة رسمية للحكومة التونسية سنة 1860م عرّفت بالرائد التونسي، والتي مثلت طيلة

صدورها المرجع الرسمي في تطبيق النصوص القانونية والإعلانات الرسمية الموجهة إلى عموم الناس (فكري، 2018م، صفحة 52).

ظهر العدد الأول من جريدة الرائد التونسي في شهر محرم سنة 1277هـ الموافق لشهر جويلية سنة 1860م (الرائد التونسي، 1860، صفحة 01)، ثم استمرت في الصدور مرة في كل أسبوع. وقد كانت تصدر في السنة حوالي 51 عدد ابتداء من شهر محرم وصولا إلى شهر ذي الحجة. وقد ظل صدور جريدة الرائد التونسي منتظما طيلة الفترة الممتدة ما بين 1860- 1882م لكنّها احتجبت عن الصدور لمدة تزيد عن 20 شهرا بداية من شهر 22 جانفي 1868م إلى شهر 23 نوفمبر 1869م بسبب المشاكل السياسية والمالية (عمايرية، 1986، صفحة 228).

أما بالنسبة لإدارة جريدة الرائد التونسي وتحريرها، فقد كانت تابعة للمجلس البلدي، حيث أشرف عليها في البداية الجنرال حسين طيلة فترة ترأسه للمجلس ما بين 1860- 1865م. ثم تولى المهمة أمير لواء محمد قارة الذي نصبه مصطفى خزندار رئيسا للمجلس البلدي ما بين 1865- 1867م (عمايرية، 1986، الصفحات 224- 225)، لكن سرعان ما انفصلت الجريدة عن المجلس البلدي واضطرت الجريدة إلى حجب صدورها لمدة 20 شهرا، لتوكل مهمة الإشراف على إدارتها للشيخ محمد البشير بن الخوجة ما بين 1869- 1875م(عمايرية، 1986، صفحة 226). في الوقت الذي أسندت فيه مهمة التحرير لمنصور كريتلي طيلة الفترة الممتدة ما بين 1860- 1876م.(عمايرية، 1986، الصفحات 138- 140).

ابتداء من سنة 1875م وبالتحديد في الفترة التي كان فيها المصلح خير الدين التونسي الوزير الأكبر، قام هذا الأخير بتعيين محمد بيرم الخامس مشرفا على جريدة الرائد، كما تم تعيين الشيخ حمزة فتح الله المصري في مستهل جانفي 1876م رئيسا للتحرير، بينما واصل منصور كريتلي لمدّة قصيرة عمله كمترجم لمقالات الصحف الأوروبية وخاصة منها الفرنسية (السنوسي، 2011، الصفحات 126- 127)، وتعويضه بـ اليهودي التونسي: مردخاي شملة الذي كان يتقن اللغة العربية (عمايرية، 1986، صفحة 225). ووقع تكليف محمد السنوسي بصفة رسمية بالقسم الادبي، بينما أصبح حسين لازغلي مكلّفا بالمسائل المالية والإدارية (السنوسي، 2011، صفحة 127).

وتجدر الإشارة إلى أنّه خلال الفترة التي تولى فيها خير الدين التونسي الوزارة الكبرى؛ فإنّ جريدة الرائد التونسي عرفت أوج مجدها ولاسيما في أعداد السنة السابعة عشر حيث صارت مقالاتها وافتتاحياتها تصدر عن خير الدين بصورة مباشرة أو غير مباشرة وتعالج الوضع الدولي من منظور إصلاحي إسلامي، ولعلّ ذلك راجع إلى الدور الذي قام به خير الدين التونسي حيث فرض على جميع موظفي الدولة الاشتراك المالي في الجريدة واقتناءها في كل أسبوع (السلام، 1986م، صفحة 93).

كما يمكن التنويه إلى أنّ انتقال عملية الاشراف على جريدة الرائد التونسي من النخبة العسكرية إلى النخبة الفكرية والدينية، كان له أثر كبير في توجيه أهداف الجريدة، فبعد أن أعطت الفئة الأولى الأولوية لنشر الأخبار السياسية والاقتصادية والاجتماعية في العالم دون مقارنته بما كان يجري في الداخل؛ تعدل هذا الاتجاه نحو مزيد من التعامل مع الواقع المحلي، وخاصة في فترة خير الدين. ويظهر هذا التعديل من خلال المقالات السياسية والاهتمام بالقضايا الاجتماعية المحلية التي كادت أن تكون مغيبة في السنوات الأولى من صدور الجريدة، بالإضافة إلى المقالات ذات التوجه الإصلاحي والديني، كما يظهر التعديل في اتجاه الجريدة بصورة غير مباشرة في الالتزام السياسي البين لمناصرة الدولة العثمانية وبتحسس اتجاهات السياسة الدولية ووقعها على البلاد الإسلامية عموما وعلى تونس بشكل خاص (عمايرية، 1986م، صفحة 351).

1-2-غرض الجريدة:

قبل الحديث عن أهداف جريدة الرائد التونسي وأغراض تأسيسها لابد من الإشارة إلى أنّها تعد باكورة الصحف التونسية وأول منبر للتفكير في سبيل النهضة بتونس والعالم العربي الإسلامي، وهي الجريدة التونسية الوحيدة التي لا تزال مستمرة الى يومنا هذا تحت عنوان جريدة الرائد الرسمي للجمهورية التونسية. وقد ظلت قائمة لوحدها إلى غاية الحماية الفرنسية على تونس، أين ظهرت أول محاولة للصحافة العربية التونسية الخاصة تحت عنوان: جريدة **الحاضرة** التي تأسست سنة 1888م وتوقفت عن الصدور سنة 1910م، والتي يمكن اعتبارها امتدادا لجريدة الرائد في طرحها لقضية النهضة والإصلاح. ثم تبعتها جريدة **سبيل الرشاد** لكنها لم تستمر طويلا حيث تأسست سنة 1895م ثم توقفت عن الصدور سنة 1896م بقرار من الحماية الفرنسية(اللولب،

2001م، صفحة 36- 43). ثم توالت الصحف الخاصة في الصدور مطلع القرن 20م تمثل هدفها الرئيسي في شن حملة قلمية عنيفة ضد الحكم الاستعماري مثل: صحيفة العصر الجديد، الصادرة سنة 1920، الوزير سنة 1920، النديم 1921م وغيرها (طلحة، 2017م، صفحة 170- 199).

أما الهدف الرئيسي من تأسيس جريدة الرائد التونسي فيتمثل في إعلام الرأي العام بقوانين الدولة وقراراتها الإدارية من خلال إصدار القوانين والتراتيب الجديدة وقوائم أعضاء المجالس، فضلا عن عرض القضايا المطروحة على المحاكم في ركن أحكام المجالس. لكنّها في نفس الوقت عملت على إطلاع قرائها بما يجري في العالم من أحداث سياسية وحربية وحضارية، قصد تشكيل شبكة من العلاقات بين تونس والمشرق العربي الذي دخل مرحلة النهضة أو أوروبا التي وصلت إلى أوج تطورها على كافة الأصعدة. حيث نشرت الجريدة العديد من مقالات المثقفين والأدباء اللبنانيين بشكل خاص والمشارقة عموما، وترجمة مقالات لعلماء أو صحفيين وفرنسيين وإنجليز (رازقي، 2020م، صفحة 69).

ولم تقتصر ذات الجريدة على الدور الإخباري؛ بل تعدّتها إلى المساهمة في توعية الصفوة التونسية وحثّها على الانضمام إلى كل من سوريا ومصر الذين سبقاها في القيام بنهضة اجتماعية ثقافية. حيث خصصت حيزا في كل مقالاتها لنشر إعلاناتها عن الكتب العلمية الصادرة في لبنان والصادرة عن أساتذة الكلية السورية. كما نشرت الجريدة نص الدستور المصري الصادر سنة 1866م مرتين، الأولى كانت حينما نشرت ترجمة كريتلي للنص عن الجرائد الفرنسية، والثانية عندما نشرت النص الأصلي الذي طبع في مطبعة بولاق ووصل إلى تونس عن طريق فارس الشدياق صاحب جريدة الجوائب (عمايرية، 1986، صفحة 249).

زيادة على ذلك نشرت الجريدة القانون الداخلي الذي ينظم عمل مجلس الشورى للنواب وهو يشتمل على 61 فصلا، ونقلت نبذة عن مذكرات المجلس في نازلة المدارس والتعليم. وبإعجاب تتكلم عن التجربة المصرية وتقدم التفصيلات عن عدد الأعضاء وتوزيعهم في المقابل لم تخف الرائد نواقص هذا المجلس الذي جاء تكرما من الخديوي

إلاّ أنّها لم تحكم بأن هذه التجربة لابد أن تكون مفيدة للبلاد التونسية، ففيها يقع التدرب على ممارسة الانتخاب (عمايرية، 1986، صفحة 295).

ولم تكتف جريدة الرائد التونسي بنشر ما كان يجري في سوريا ومصر وحسب بل تعدتها إلى الدولة العثمانية، حيث نشرت ترجمة مذكرات الصدر الأعظم العثماني محمد فؤاد باشا التي رفعها إلى السلطان عبد العزيز تنتقد الأوضاع السائدة بالسلطنة العثمانية وتحرضه على مواصلة الإصلاحات التي بدأها السلطان عبد الحميد الأول، وذلك من العدد 10 الصادر في 26. 01. 1870م إلى غاية العدد 16 الصادر في 09. 03. 1870م.كما خصصت 4 صفحات من عددها الصادر سنة 1877م لنقل الترجمة العربية للدستور أو القانون الأساسي لممالك الدولة العثمانية (جريدة الرائد التونسي، 1877م، الصفحات 03- 07).

كما ذكرت ذات الجريدة نقلا عن جريدة الاتحاد العثماني وصف الموكب الذي حضر في ساحة الباب العالي لاستماع قراءة القرآن. كما نقلت خطاب مدحت باشا الذي تضمن نقدا ذاتيا صريحا وبيانا لتقهقر الحالة في السلطنة بتوقف التنظيمات بعد السلطان عبد المجيد. وتضمنت كلمة مدحت باشا إشادة بالقوانين الجديدة التي هي سر التقدم في أوروبا (جريدة الرائد التونسي، 1877م، صفحة 02).

من زاوية أخرى؛ كانت الرائد في عهد سنواتها الأولى تورد أخبار الجمعيات والآراء الجديدة في أوروبا ولو بصورة موجزة، فكانت تنقل وتترجم المفاهيم الأساسية من الفكر الأوروبي التنويري إلى العربية، مثل ترجمة منصور كريتلي للمقال المعنون بـ:"**الحقوق باعتبار الإفرنج** " لمؤلفه مونتسكيو (جريدة الرائد التونسي، 1866م، الصفحات 01- 02). كما كانت تنقل أخبارا عن أحوال أوروبا الداخلية خاصة الاحتجاجات والثورات وأهمها: الحركة النسائية الناشئة في بريطانيا والمطالبة بحق الانتخاب تحت عنوان النساء في إنجلترا (جريدة الرائد التونسي، 1879م، صفحة 03) أحداث كمونة باريس 1871م تحت عنوان "**محركو الثورة**" (جريدة الرائد التونسي، 1871م، صفحة 02).

زيادة على ما سبق؛ حرصت الجريدة على نشر المعرفة والثقافة الجديدة عن طريق نشرها للإعلانات عن الكتب الجديدة أو المطبوعة حديثا والدوريات والصحف والمجلات التي صدرت في البلدان العربية أو في الدول الأوروبية (عمايرية، 1986، صفحة

225). وقد أبرزت ذات الجريدة أيضا من خلال الإعلانات بضائع عديدة ومتنوعة بدأت تدخل إلى منازل التونسيين سواء الأثاث المنزلي أو أدوات التجميل والتطبيب والألبسة (رازقي، 2020م، صفحة 69).

2-الفتنة الطائفية في سوريا ولبنان سنة 1860م:

من بين العوامل التي دفعت بمحرري جريدة الرائد التونسي للاهتمام بسوريا ولبنان، هو مصادفة صدور أعدادها الأولى للأحداث الأهلية والمذهبية والطائفية التي جرت بين الدروز المسلمين والموارنة المسيحيي بعد سلسلة من الاضطرابات بين الطائفتين، والتي بدأت في جبل لبنان ثم امتدت إلى بيروت وطرابلس الشام وصيدا واللاذقية لتستمر في دمشق (ابكاريوس، 1987م، الصفحات 127- 258).

افتتحت جريدة الرائد عددها الثاني بالحديث عن فجع الفتنة الطائفية التي حلّت بالأقاليم الشامية بين الدروز والموارنة والتي أدت إلى مقتلة شديدة من جهة، وإلى تدخل الدول الأجنبية في الأمور الداخلية للدولة العثمانية من جهة ثانية. وفي هذا السياق؛ حملّت الجريدة الدولة العثمانية جزءا مما حدث، نظرا لغفلتها وعدم مبالاتها بتخطيطات فرنسا والإنجليز في بلاد الشام منذ أن حصلت منها على حق امتياز حماية الأقليات المسيحية في المنطقة، وهدفها الرامي إلى التدخل في المنطقة وبالتالي بسط النفوذ عليها (جريدة الرائد التونسي، 1860م، صفحة 01).

في المقابل؛ أبرزت الجريدة مساعي الدولة العثمانية من أجل إعادة الأمن والاستقرار في الأقاليم الشامية، حيث أكدّ السلطان العثماني عبد العزيز في التليغراف الذي أرسله إلى كل من إمبراطور فرنسا نابليون الثالث Napoléon III وملكة إنجلترا في 7 صفر 1277هـ الموافق لـ: 17 أوت 1860م، أنّ ما حصل له من التوجع حين بلغه خبر حوادث سوريا، وأنّه سيبذل غاية مجهوده لإعادة الراحة والأمن إلى تلك البلاد وإجراء القصاص الصارم على المذنبين أيا كانوا مسلمين أو نصارى، وأنّه سيرسل وزير الأمور الخارجية لتنفيذ هذا الأمر (جريدة الرائد التونسي، 1860م، صفحة 03). وبالفعل قام الوزير فؤاد باشا بمجرد وصوله إلى بيروت بمعاقبة المسلمين الذين كانت لهم يد في مقتلة النصارى أثناء الاحداث الدامية في الجبل وفي دمشق (جريدة الرائد التونسي، 1860م، صفحة 02).

لـم تقـف الجريـدة عنـد تبيـان موقـف الدولـة العثمانيـة مـن الفتنـة الطائفيـة وحسب؛ بل أبرزت موقف كل من فرنسا وإنجلترا، وذلك من خلال إيرادها لكلام وزير الخارجية بإنجلترا اللورد بالمرستون Lord Palmerston (1784- 1865م) في إحدى جلسات الديوان العام الإنجليزي، والذي يتضح من خلاله أنّ الدولة الإنجليزية رغبت في إصلاح بلاد الشام بأحسن نوع وفي أقرب وقت ممكن؛ لذلك لم تكن راضية عن التدخل العسكري الفرنسي في الأقاليم الشامية التي جرت فيها الفتنة (جريدة الرائد التونسي، 1860م، صفحة 01).

وطبعا ذلك لم يكن حبا في الشام وإنّما لأنّ إنجلترا رأت في ذلك التدخل خرقا لمعاهدة باريس لسنة 1856م التي منعت تدخل الدول الأوروبية مجتمعة أو منفردة في الشؤون الداخلية للدولة العثمانية، وكانت مذابح لبنان هي مسألة داخلية، وهذا ما يتعارض مع مبدأ المحافظة على الدولة العثمانية وممتلكاتها. فضلا عن أنّها الفرصة التي ستستغلها فرنسا من أجل فرض الحماية على لبنان كخطوة أولى ليتبعها فرض الحماية على سوريا، وهذا ما يخل بمبدأ التوازن الدولي في خوض البحر المتوسط (الشناوي، 2004م، صفحة 293).

كما أنّ الحكومة الإنجليزية كانت تحملّ النصارى مسؤولية الفتنة الطائفية كونهم المعتدون على الدروز المسلمين في جبل لبنان وليس العكس، وذلك استنادا لما جاء في التقرير المرسل إليها من قبل قنصل إنجلترا في بيروت والذي مفاده أنّ "ابتداء الحرب كان من طرف الموارنة وانهم أغاروا على قرية من قرى الدروز التي كان يسكن بها بعض من أهل مذهبهم وشرعوا يقتلون الدروز ويحرقون بيوتهم وأن أسقف الموارنة المقيم في بيروت كان مسعرا للغارة المذكورة" (جريدة الرائد التونسي، 1860م، صفحة 01).

على العكس تماما لم تكن فرنسا تسعى لإصلاح الوضع في بلاد جبل لبنان ودمشق بطرق سلمية، وإنّما سعت إلى التدخل العسكري في المنطقة بعد أن استطاعت إقناع الدول الكبرى مثل إنجلترا وبروسيا والنمسا من جهة والدولة العثمانية من جهة ثانية، في الاجتماع الذي عقدته في عاصمتها باريس (جريدة الرائد التونسي، 1860م، صفحة 02). لكن الاتفاق اشترط على فرنسا أن تسحب قواتها بعد ستة أشهر، وألا تتدخل في الأمور الداخلية للبلاد (جريدة الرائد التونسي، 1861م، صفحة 03).

وقد أكدّت جريدة الرائد وصول العساكر الفرنسية وعساكر بعض الدول الأجنبية وحتى العثمانية إلى الأقاليم الشامية، من خلال الرسالة التي وصلتها من بيروت بتاريخ 10 محرم 1277هـ الموافق لـ: 28 جويلية 1860م والتي جاء فيها أنّ التدخل العسكري الأوروبي عامة والفرنسي بشكل خاص بدأ بوصول السفينتين الفرنسيتين الحربية المسماة بـ: اكلارس والتجارية المسماة ايندوس لإحضار المكاتيب الواردة من أوروبا ثم تتابع وصول السفن الحربية حيث تواجدت بالمنطقة 17 سفينة نارية منها 03 سفن فرنسية و 05 إنجليزية و 04 سفن يونانية و 05 عثمانية (جريدة الرائد التونسي، 1860م، صفحة 02).

من زاوية أخرى؛ أشارت جريدة الرائد التونسي إلى دور الأمير عبد القادر الجزائري _الذي كان متواجدا آنذاك في دمشق_ في تطويق الفتنة الطائفية وعودة الحياة إلى طبيعتها في المنطقة حيث فتح التجار وأهل الصنائع حوانيتهم (جريدة الرائد التونسي، 1860م، صفحة 02). فقد وفر الأمير عبد القادر الحماية والأمن للنصارى المضطهدين والفارين، كما وفرّ لإيوائهم البيوت والملاجئ التابعة له، فضلا عن تأمينه للطرق والمسالك. علاوة على تهدئة الناس وحثهم على الإقلاع عن الثورة، معتمدا في ذلك على رجاله من الجزائريين الموجودين في دمشق (طاعة، 2017م، الصفحات 45- 46).

ونظير الجهود التي بذلها الأمير عبد القادر الجزائري في إخماد نار الفتنة ومواقفه النبيلة والإنسانية، تلقى هذا الأخير عدّة رسائل شكر مصحوبة بالنياشين والأوسمة والأسلحة من قبل بعض الشخصيات السياسية الأوروبية من فرنسا وروسيا وبروسيا وإنجلترا واليونان وغيرها جراء جهوده ومواقفه النبيلة والإنسانية (القادر، 1903م، الصفحات 98- 101).

وقد أوردت جريدة الرائد التونسي نماذج منها مثل رسالة الشكر التي أرسلتها الحكومة الأمريكية إلى الأمير عبد القادر مصحوبة بـ " زوج طبنجات من أحسن ما يصنع في بلاد أمريكا وهي من النوع الذي يقال له ريفولفر كل واحدة منهما بسبعة أضرب ومزين بالفضة المنقوشة موضوعة ضمن صندوق من خشب السنديان الأمريكاني منقوشا من أبرع الصنايعية في مدينة نيويرك..." (جريدة الرائد التونسي، 1860م، صفحة 05).

في المقابل؛ نشرت ذات الجريدة بعض ردود الأمير عبد القادر الجزائري لرسائل الشكر التي وصلته كالمكتوب الذي أرسله إلى القنصل الفرنسي بتونس ليون روش Léon Roches ما بين(1855- 1863م) والمؤرخ في 20 ربيع الأول سنة 1277هـ حيث أكدّ فيه على أنّ: "... الذي فعلناه بالشام هو مقتضى الشريعة المحمدية والغيرة الإنسانية بل كان الواجب علينا أن نفعل أكثر من ذلك ولكن وجود الحكام بالبلد منعنا من التظاهر في حسم الضرر قبل وقوعه..." (جريدة الرائد التونسي، 1860م، صفحة 01).

وقد تلقى الأمير عبد القادر الجزائري أيضا من السلطان "عبد المجيد الأول" _ نظير ما صنعه في أحداث دمشق _ "النيشان المجيدي " العالي الشأن من الرتبة الأولى، وأرفق معه فرمانا وحملهما إلى الأمير الصدر الأعظم " علي باشا". فسّر الأمير بهذا الإنعام السلطاني، ورفع إلى حضرة الخليفة كتابا يشكره فيه ويلخص له ما حدث (القادر، 1903م، الصفحات 96- 98).

انطلاقا مما سبق ذكره؛ فإنّ جريدة الرائد التونسي أولت اهتماما كبيرا بأحداث الفتنة الطائفية، حيث خصصت العديد من مقالاتها للحديث عن هذه المسألة. لكنها بالمقابل اكتفت فقط بالوصف العام وإعطاء صورة شاملة دون أن تتعمق في خلفيات وأبعاد هذه الفتنة. فلم تتطرق للصراع بين الطواف المسيحية في سوريا ولبنان، ولا للدور الذي لعبته الدول الأوروبية وفي مقدمتها فرنسا وإنجلترا في تزكية هذا الصراع ومنه إشعال نار الفتنة.

3- مقومات النهضة الفكرية في سوريا ولبنان خلال القرن التاسع عشر:

لما كان من أهم أهداف جريدة الرائد التونسي إعداد قرائها وتأهيل النخبة التونسية في التفاعل الإيجابي مع مستجدات المدنية الغربية وبالأخص الثقافية منها من أجل تحديث الفكر التونسي، فإنّ ذات الجريدة عملت على نقل أهم معالم النهضة الفكرية في سوريا ولبنان مركزّة على ثلاثة منها: المدارس التعليمية؛ الجمعيات العلمية، الصحف السورية واللبنانية.

1-3- المدارس التعليمية:

انطلقت شرارة النهضة الفكرية الأولى من لبنان ثم توالت في بيروت ودمشق، ومن مقوماتها انتشار المدارس التعليمية، وذلك ابتداء من فترة الحكم المصري (1832-1840م) بقيادة إبراهيم باشا، حيث عمل هذا الأخير على نشر التعليم من خلال زيادة عدد المدارس، وتشجيع الحركة العلمية بشقيها الوطني والأجنبي. علاوة على المدارس الحكومية التي أنشأتها الدولة العثمانية مثل المدارس الرشيدية والمدارس الإعدادية ودار المعلمين (العكيلي، 2015م، الصفحات 306- 315).

بالإضافة إلى الدور الذي لعبته البعثات والإرساليات التنصيرية في فتح العديد من المدارس _ رغم أهدافها الدينية_ مما ساعد على نشر التعليم. ففي بيروت لوحدها وفي الفترة الممتدة ما بين 1895-1896م، بلغت عدد المدارس الإعدادية بها 15 مدرسة 6 منها للفرنسيين و5 للأمريكيين، و2 للألمان وواحدة لكل من الإنجليز والروس. و 6 مدارس راشدية: 2 منها لكل من فرنسا وإيطاليا وواحدة لكل من إنجلترا وأوروبا. و38 مدرسة ابتدائية 14 منها لأمريكيين و10 للإنجليز و10 للفرنسيين و2 للألمانيين و2 للروسيين (الجندي، 2016م، صفحة 155) .

وانطلاقا مما سبق؛ نقلت الرائد مقالا في صورة تقرير عن جريدة حديقة الأخبار البيروتية (جريدة الرائد التونسي، 1867م)، يصف ذلك التطور الحاصل في الوضع التعليمي في منتصف العقد السابع من القرن التاسع عشر والمدارس المنتشرة آنذاك لا سيما مدارس الإرساليات الأجنبية. كما قدم فيها صاحبها بعض الملاحظات التوجيهية في علاقة التعليم بالمعرفة وأهمية تعليم اللغات الأجنبية وحدوده.

فالمتمعن في المقال يجد أنّ صاحبه استهل حديثه بالتذكير بما يمكن اعتباره القاعدة الذهبية للنهضة العربية، وهي التلازم بين العلم والتقدم. ثم أورد لمحة عامة عن تطور التعليم بالساحل السوري أشار فيها إلى كثرة المدارس الطائفية التي كان يتعلّم بها الذكور والإناث ولا سيما في بيروت وجوارها، حيث بلغ عدد التلاميذ الذكور في المدارس الابتدائية نحو 2000 تلميذ، وبلغ عدد التلميذات الإناث نحو 1000 تلميذة في مدارس الراهبات العزارية والبروتستانتية (جريدة الرائد التونسي، 1867م) مثل: مدرسة

عينطورة التي أسسها الآباء العازوريون سنة 1834م، ومدرسة غزير التي أنشأها الآباء اليسوعيون سنة 1843م، ومدرسة الأمريكان للبنات والصبيان في عبية (في جبل لبنان) التي أنشأت سنة 1847م، ومدرسة القس طمسون للبنات في بيروت سنة 1835م. والمدرسة الإنجيلية للبنات سنة 1861م، والكلية السورية الإنجيلية سنة 1866م، ومدرسة بطرس البستاني المسماة بالمدرسة الوطنية سنة 1863م وغيرها (جريدة الرائد التونسي، 1867م) .

ومن هذا المنطلق؛ يبدو أنّ تركيز الجريدة على النشاط التعليمي التبشيري إنّما جاء مقصودا، ذلك لأنّ مدارس لبنان وبيروت التي أنشأتها الإرساليات التبشيرية والطوائف المسيحية كان لها دور كبير في النهضة التي شهدتها بلاد الشام. حيث ساعدت في تكوين نخبة من المثقفين العرب الذين أتقنوا اللغات الأجنبية، فراحوا يترجمون الكتب الفرنسية والإنجليزية والإيطالية وغيرها، كما أخذوا ينادون بالأفكار النهضوية (بوجلطي، 2010- 2011م، صفحة 128) .

ومع ذلك لا يمكن إهمال الآثار السلبية التي تركتها هذه الإرساليات؛ فهي أيضا تعدّ من العوامل التي حركت وجهة الفكر العربي خلال الفترة التي نشطت فيها وبعدها. حيث أدخلت ألوانا مختلفة من الأفكار ساهمت في ازدياد الانقسامات الطائفية. كما كانت سببا في تخريج جيل بقدر ما كان وطنيا قوميا في البداية من خلال إحيائه للتراث والحضارة العربية، بقدر ما ابتعد عن حضارته في النصف الثاني من القرن 19م.

زيادة على ذلك؛ فإنّه رغم الفائدة الكبيرة التي قدمتها مدارس الإرساليات في محو الجهل، إلاّ أن التعليم الذي قدمته كان رهبني، بل خلقت فوق ذلك فوضى تربوية وفكرية، نتيجة اختلاف أنماط النظام التربوي الأوروبي المتعدد الذي تلقاه الفكر العربي (فتيحة علواش، 2014م، صفحة 85- 86). كما لا يمكن إنكار الهدف الخفي الذي كانت تسعى إليه هذه المدارس، حيث مارست النشاط التعليمي في أوساط المسيحيين؛ لتكوّن من الفئة المتعلّمة في المرحلة اللاحقة السند الذي ترتكز عليه القوى الاستعمارية في إقامة مشروعها الاستعماري ونشر الثقافة الغربية (بوجلطي، 2010- 2011م، صفحة 132).

وقد أدركت جريدة الرائد التونسي هذا الأمر؛ حيث انتقد صاحب المقالة المشار إليها سابقا، النظام التعليمي المعتمد آنذاك في المدارس التبشيرية لا سيما في مراحله الأولى؛ حيث كان يرى أنّ تلك المدارس إنّما كانت تولي أهمية كبيرة لتعليم اللغات الأجنبية على حساب اللغة العربية وعلومها، وتعلّم أهالي المدن الشامية في هذه المدارس سيوفر لهم معرفة اللغة وربما إتقانها، لكن لا يمكن لها أن توفر لهم العمل في المجالات التي يتقنونها وورثوها عن آبائهم لأنّهم أصحاب الصنائع، بل سيضطرون إلى الرحيل إلى البلدان الأوروبية، أو يصبحون من أهل البطالة. وهذا ما أدى إلى عزلة المتعلمين عن لغتهم الأصلية وجذورهم الاجتماعية، وميلهم نحو الثقافة الأوروبية الحديثة التي حتما ستؤدي إلى الاغتراب (جريدة الرائد التونسي، 1867م).

3-2- الجمعية العلمية السورية ومنجزاتها الثقافية:

رافق النهضة التعليمية في بلاد الشام إنشاء الجمعيات والنوادي الأدبية التي كان لها دور ثقافي وسياسي واجتماعي هام، فقد ألقيت فيها المحاضرات المختلفة، وتدّرب المثقفون فيها على الحياة والنظم البرلمانية ونشروا دعوات وأفكارا جريئة عن أنظمة الحكم متأثرين بالآراء والفلسفات الغربية (الريماوي، 1982م، الصفحات 135- 138) .

ومن هذا المنطلق؛ أفاضت جريدة الرائد التونسي في الحديث عن الجمعية العلمية السورية التي تأسست سنة 1847م، باعتبارها أهم الجمعيات العربية وأسبقها للوجود في عصر النهضة العربية، هدفها ترقية العلوم ونشر الفنون، ضمت بين أعضائها نخبة من الأدباء والوطنيين والأجانب كناصيف اليازجي، بطرس البستاني، ميخائيل شاقة، والقس وليام طمسن وغيرهم. حيث عملت الجريدة على تقديم شخصيات مؤسسي الجمعية، كما نقلت أهم إنجازاتها الفكرية. وربما يعود هذا الاهتمام إلى محرر جريدة الرائد منصور كريتلي الذي كان عضوا بالجمعية، فحاول نقل ما شهده من نشاطات وفعاليات هذه الأخيرة في بيروت إلى أوساط النخبة التونسية وذلك من خلال المقال المعنون بـ: " الجمعية السورية" (جريدة الرائد التونسي، 1867م)، الذي ذكر فيه منشأ هذه الجمعية في بيروت عام 1847، من طرف بعض أعيان المدينة بمساعدة المرسلين الأمريكانيين وخصوصا مستر وليم طمسن ومقاصدها مذكورة في قوانينها.

وتتجلى أهم الأهداف التي قامت عليها الجمعية في استفادة أعضائها بالعلوم والفنون بواسطة مفاوضات ورسائل وخطابات وأخبار، إلى جانب جمع كتب وصحف سواء كانت طبعا أو خطا وعلى الخصوص ما كان منها في اللغة العربية موافقا لمنفعة الجمعية. فضلا عن انهاض الرغبة عموما لاكتساب العلوم والفوائد مجردة من المسائل الخلافية في الأديان والأحكام.

ويصور ذات المقال حياة الجمعية وتطورها في أعوامها الأولى (جريدة الرائد التونسي، 1867م) فيذكر أنّه لم يمض عليها إلا بضعة من الزمان حتى صار عدد الأعضاء المنتظمين فيها من أهل المدينة (يقصد بيروت) أعضاء مستوطنين يزيد على الستين عضوا وبادر كثير من أهل مدن الشام كدمشق وحلب وطرابلس وصيدا وصور وعكا والقدس إلى الانتظام فيها بصفة أعضاء المراسلين.

وأما عن نشاط الجمعية الثقافي فقد كان يقوم على المناظرات والنقاش، حيث يشرع الأعضاء في عقد اجتماع مرة في كل أسبوعين للمفاوضة والمناظرة في العلوم والمعارف، فيقرأ بعضهم على الحاضرين خطابا في مسألة من المسائل العلمية. وكانوا أيضا يجتمعون مرة كل أسبوعين اجتماعا عموميا، يباح الحضور إليه للجمهور فكانت الناس تتسابق إليها حتى كان بيت المجمع كثيرا ما يعج منهم (جريدة الرائد التونسي، 1867م).

علاوة على هذا التعريف؛ نشرت الرائد التونسي أهم ما صدر عن الجمعية العلمية السورية من دراسات فكرية مثل: الدراسة الفلسفية الحديثة المعنونة بـ:"في فصل المتأخرين من المتقدمين" لكاتبها كرنليوس فان ديك (جريدة الرائد التونسي، 1864م)، وهو دفاع عن المنهج الاستقرائي ونقد المنطق القياسي الذي شكل عصب الفلسفة الإسلامية و" المدرسية"، كما ينتقد الأخطاء المترتبة في استخدام المنهج القياسي (المنهج الصوري) لدى القدامى.

وفي ذات السياق؛ نشرت ذات الجريدة دراسة فلسفية تفند المعتقدات الغيبية تحت عنوان " في الحسد والنحس والعين" لكاتبها ميخائيل مشاقة الطبيب الدمشقي، وفيها ينفي تأثير الكواكب على الناس ويبطل القول بالحسد والنحس والعين. ولم تكتف الجريدة بنشر هذه الدراسة وحسب؛ بل دافعت عن الأفكار التي جاءت فيها بعد أن

أثارت المقالة حفيظة ذوي التفكير الغيبي في تونس (جريدة الرائد التونسي، 1870م، صفحة 04)

علاوة على دراسات متعدّدة في مجالات أخرى كالتجارة مثل: "في منافع التجارة" لكاتبه موسى فريج (جريدة الرائد التونسي، 1870م، صفحة 04). ودراسات علمية وتربوية مثل: "في لذات العلم وفوائده" للكاتب كرنليوس فان ديك، صادر في الأعداد من 23- 25 السنة الثالثة (جريدة الرائد التونسي، 1863م، صفحة 02)، تربية الأولاد للكاتب هنري دي فوست (جريدة الرائد التونسي، 1867م)، ودراسات أخرى مثل: "في أصل المتجر وتقلباته" للكاتب ميخائيل مدور (جريدة الرائد التونسي، 1863م، الصفحات 02- 03)، "في أصول الشرائع الطبيعية" للكاتب سليم نوفل (جريدة الرائد التونسي، 1864م، الصفحات 01- 02).

ولعل أبرز إنجازات الجمعية الثقافية التي نشرتها جريدة الرائد هي محاضرات اللبناني بطرس البستاني خاصة محاضرته المشهورة "تعليم البنات" (جريدة الرائد التونسي، 1863م)التي ألقاها في 15 ديسمبر 1849 في إحدى ندوات الجمعية السورية. حيث يقارن فيها بين وضع المرأة في المشرق العربي والمرأة في أوروبا المتمدنة، فيدعوا إلى ضرورة النهوض بالمرأة العربية، وذلك من خلال توفير التعليم لها.

ولابد من الإشارة هنا؛ إلى أنّ جريدة الرائد التونسي عن طريق محررها منصور كريتلي كانت شديدة التأثر بأفكار بطرس البستاني؛ ذلك أنّها لم تتوان في الأخذ عن دعاية هذا الأخير لإحلال الرابطة الوطنية المقام الأول في العلاقة بين أبناء البلاد الواحدة. كما أنّها سارت على خطى مجلة الجنان التي أصدرها البستاني بداية من عام 1870م في اعتماد نفس شعارها وهو نص الحديث الشريف "حب الوطن من الإيمان"، مع شيء من التعديل وذلك بداية من العدد الأول للسنة الحادية عشرة حيث صارت تكتب تحت عنوانها " حب الوطن من الإيمان، فمن يسعى بعمران بلاده إنما يسعى بإعزاز دينه" (جريدة الرائد التونسي، 1870م). كما نشرت في العدد 12 من السنة المذكورة مقالا مأخوذا عن الجنان كتبه سليم البستاني بعنوان "حب الوطن من الإيمان" (جريدة الرائد التونسي، 1870م، الصفحات 01- 02) .

ولئن عرفت الجمعية بعد نشاطها فتورا، إلاّ أنّها عادت للظهور ابتداء من عام 1857م إلى غاية 1869م، وهي تختلف عن الأولى في كونها ضمت العرب داخلها المثقفين من كافة الطوائف الدينية الإسلامية والمسيحية على السواء. فبلغ عدد المنخرطين بها 115 عضوا وترأسها محمد أرسلان (خوري، 1990م، الصفحات 218- 219). فساهمت بذلك في تغذية عقول الناشئة بالكرامة والغيرة وجعلهم يتوقون الى تحقيق دولتهم القومية الإنسانية.

لكنّها بالمقابل؛ خلقت اتجاهين: اتجاه ربط بين التيار الوطني والرابطة، والذي يؤكد أصحابه أن الدين لم يكن يوما معارضا لحركات التحرر في العالم أو مناوئا للنهضة الإصلاحية: السياسية منها والثقافية؛ بل على العكس من ذلك كان إلى جانب التقدم والتطور، ودفع عجلة التمدن والرقي الأخلاقي الاجتماعي إلى الأمام. واتجاه آخر لم يتشدّد أصحابه في عملية الفصل، ولم يعادوا الرابطة الدينية وإن كانوا على العموم قد فصلوا بينها، وحاولت جمع مختلف الطوائف والأديان، مع تنديدها بسياسة الدولة العثمانية ومفاسد نظامه (معاليقي، د. ت، صفحة 160، 165).

3-3- الصحف والمجلات:

إنّ المتمعن في أعداد الرائد التونسي يلاحظ أنّها ضمنت العديد من صفحاتها أخبارا ثقافية عن بلاد الشام، وذلك انطلاقا من المعلومات التي حصلت عليها من بعض الجرائد والمجلات العربية عامة والسورية بشكل خاص. ولعلّ ذلك دليل على وجود صلات ثقافية بين تونس والمشرق العربي طيلة الفترة التي كانت تصدر فيها الجريدة، رغم أنّه لا توجد معلومات دقيقة حول وصول تلك الصحف إلى تونس وطرق توزيعها على مثقفيها وعلمائها (عمايرية، 1986، الصفحات 321- 322) .

تعدّ حديقة الأخبار التي أنشأها الأديب اللبناني خليل خوري سنة 1858م ببيروت، إحدى أهم الجرائد العربية التي نقلت عنها جريدة الرائد التونسي أكثر من مرة أخبار في ميادين شتى، وذلك راجع لكونها أول جريدة شامية بترخيص من الحكومة العثمانية، ذات المنهج المعتدل، والأسلوب السلس، إلى جانب غزارة مادتها السياسية في طابع سياسي ذات أفكار سهلة لقضايا وطنية. كما اتسمت بكونها جريدة شبه رسمية، حيث عين لصاحبها بإرادة سنية راتبا شهريا قدره عشرون ليرة عثمانية. وقد بلغ مجموع

الأعداد التي صدرت منها منذ تأسيسها إلى حين احتجابها 973 عددا (الرفاعي، 2006م، الصفحات 64- 65) .

ومما نقلته جريدة الرائد التونسي عن جريدة حديقة الأخبار أجواء احتفال والي سوريا رشدي باشا بعيد الأضحى رفقة عدد غفير من العلماء والوزراء والمأمورين والعسكريين وغيرهم (جريدة الرائد التونسي، 1870م، صفحة 01). وفي موضع آخر تحدثت عن كثرة الجراد في نواحي صيدا وعكا ويافة وتعطيله لموسم الحبوب خصوصا مع قلة تساقط الأمطار، مما أدى إلى ارتفاع أسعارها (جريدة الرائد التونسي، 1865م، صفحة 03) .

ومما نقلته الجريدة أيضا؛ الدور الذي لعبه والي دمشق رشدي باشا في تسير شؤون قافلة الحج الشامي إلى الحجاز برفقة إسماعيل بك قائمقام الركب الحجازي وأمين الصرة السلطانية وتوفير سبل الراحة والأمن، مما أدى إلى وصولها بثمانية أيام قبل الميعاد من كل سنة (جريدة الرائد التونسي، 1865م، صفحة 02). إلى جانب دوره _ رشدي باشا_ في القضاء على هجوم نحو" 47 خيالا من طائفة الدروز في دمشق يوم 16 جمادى الأول 1281ه على بعض الكروسات وسلبوا بغالها وبعض أشيا" (جريدة الرائد التونسي، 1864م، صفحة 02).

زيادة على ذلك؛ نقلت جريدة الرائد بعض النصائح التي قدّمتها حديقة الأخبار لحكام الشام في مجالات عدّة لعلّ أبرزها المجال الزراعي والصناعي، حيث جاء في إحدى المقالات أنّ بلاد الشام لا زالت متأخرة في المحصولات الزراعية مقارنة بالصنائع التي أحضرها الأجانب، (... فالبلاد ذات منابع كثيرة من الزراعة تصح بها أكثر الأنواع التي تدور عليها الصناعة فإذا جرت الهمة بتكثير الزراعة وأعقبتها مداولة الصناعة تصل البلاد بالتدريج إلى مراتب الغبطة والسعادة ولا يستصعب مثل ذلك على أبناء الوطن المشهورة. فقد شاهدنا منهم من أتقن صناعة النسيج اليدوية في دمشق وحلب وجبل لبنان وخرجت من أيديهم منسوجات حريرية وقصبية...) (جريدة الرائد التونسي، 1864م، صفحة 02)، وتسترشد حديقة الأخبار بالنهضة الزراعية والصناعية التي حدثت بمصر في سنة 1864م (جريدة الرائد التونسي، 1864م، صفحة 02) .

لم تكتف جريدة الرائد بالأخذ عن جريدة حديقة الأخبار وحسب؛ بل نقلت أيضا عن مجلة الجنان التي أنشأها بطرس البستاني سنة 1870م في لبنان، وهي أول مجلة سياسية علمية أدبية وتاريخية كانت تصدر مرتين في الشهر (الرفاعي، 2006م، الصفحات 91- 92). حيث لم تتردد الرائد في تحية المولود الجديد بنشر اعلان طويل للدعاية للجنان، بهدف دفع التونسيين للاشتراك في المشروع الثقافي (جريدة الرائد التونسي، 1870م، صفحة 04). وكان حجم ما أخذ عن الجنان ضخما وفي أغراض شتى من موضوعات اجتماعية وتاريخية وأدبية لعلّ أبرزها نقل أول قصة عربية عنها وهي الهيام من جنان الشام (جريدة الرائد التونسي، 1870م، الصفحات 03- 04) تأليف سليم البستاني ابن بطرس البستاني .

لكن الجريدة التي اعتمدت عليها الرائد التونسي في نقل أخبار سوريا السياسية والثقافية هي جريدة الجوائب التي أنشأها فارس الشدياق سنة 1860م، وهي أول صحيفة تنشر أخبار يومية عربية سياسية مستقلة تعنى بقضايا العالم الإسلامي، كما كانت تحتوي أخبار من داخل الدولة العثمانية وخارجها (أديب، 1960م، صفحة 144). وقد انتشرت الجوائب انتشارا كبيرا في الشرق والغرب، ونالت شهرة واسعة، واستمرت في الصدور قرابة 33 عاما متواصلة دون انقطاع. وقد ساعد السلطان عبد العزيز على توسيع نطاقها ليبث من خلالها أفكاره، كما كان يقدم إعانة مالية سنوية للجريدة قدرها 500 ليرة عثمانية (السليمان، 2018م، صفحة 119).

نشرت الرائد في سنواتها الأولى أهم الدراسات الثقافية التي أنشأها فارس الشدياق أو اقتبسها من بعض المؤلفات الأوروبية كالموضوعات العلمية التي عربها من أعمال فولتير مثل: "تاريخ بريطانيا العظمى" (جريدة الرائد التونسي، 1861م، صفحة 04)، ودراسات علمية أخرى مثل "في البعد" (جريدة الرائد التونسي، 1861م، الصفحات 02- 03)، و"الهواء" (جريدة الرائد التونسي، 1861م، صفحة 02). كما نشرت مباحثه اللغوية وبعض محاولاته في دراسة الفنون مثل الموسيقى والالهية (جريدة الرائد التونسي، 1862م، صفحة 02)، و"الحكاية" (جريدة الرائد التونسي، 1862م، الصفحات 03- 04).كما نقلت مقتطفات الرسالة التي بعث بها خير الدين التونسي إلى

فارس الشدياق والتي يستجيب فيها لمطلب هذا الأخير في نشر كتابه المعنونة بـ: كشف المخبأ في فنون أوروبا في تونس (جريدة الرائد التونسي، 1863م).

-خاتمة:

تكتسي جريدة الرائد التونسي أهمية كبيرة في التأريخ للبلاد التونسية من جهة، والعالم بشقيه الإسلامي والمسيحي من جهة ثانية. فإلى جانب دورها المتمثل في إعلام الرأي العام بقوانين الحكومة التونسية وقراراتها الإدارية؛ فإنّها عملت على إطلاع قرائها بما يجري في العالم من أحداث، قصد تشكيل شبكة من العلاقات بين تونس والمشرق العربي الذي شهد تحولات سياسية وفكرية أثرت بشكل كبير على مستقبله.

ويتضح ذلك بشكل جلّي في الأعداد الأولى من الجريدة، حيث خصصت العديد من مقالاتها لنقل صورة واضحة عن أبرز الأحداث السياسية التي شهدتها سوريا ولبنان خلال ستينيات القرن التاسع عشر الميلادي والمتمثلة في الفتنة الطائفية التي أثرت سلبا على المجتمع السوري واللبناني بقتل العديد من المسلمين والنصارى، بالإضافة إلى التدخل الأجنبي في المنطقة.

في المقابل؛ لم تفصّل الجريدة في ذكر ما يتعلق بخلفيات الفتنة الداخلية مثل جذور النزاع المتواصل بين مختلف الطوائف المتواجدة في سوريا ولبنان، ولا الخارجية مثل الدور الذي لعبته الدول الأوروبية وفي مقدمتها فرنسا وإنجلترا في إشعال نار الفتنة. كما لم تقدّم الجريدة أي إحصاء لعدد القتلى أو المشاركين في هذه الحادثة، واكتفت بنقل ما تناولته بعض الصحف الأوروبية المتضاربة فيما بينها، دون أن يكون لها رأي في ذلك إلا ما ندر.

وربما يعود هذا الأمر إلى أنّ جريدة الرائد لم تكن سوى أداة طيعة في يد الحكومة التونسية، وليس لها علاقة بصفوة المجتمع التونسي التي يمكن لها أن تتجاوب بشكل أفضل مع ما كان يجري في سوريا ولبنان. فما كان ينشر في الجريدة إنّما يجب أن يخضع لموافقة الدولة التي م تكن تخض في الأمور السياسية.

زيادة على ذلك؛ كشفت جريدة الرائد التونسي التحولات الفكرية التي شهدتها سوريا ولبنان خلال القرن التاسع عشر الميلادي، والتي تجسدت في التجربة النهضوية

التي عبّرت عنها تأسيس المدارس الحديثة لتعليم اللغات والعلوم، وانتشار الطباعة والصحافة، وبعث الجمعيات الأدبية والعلمية. فقد أوضحت الجريدة أنّ ظروف النهوض الفكري وعوامله كانت متاحة لدى أهل الشام، سواء ما تعلق بالمؤثرات الداخلية، أو المؤثرات الخارجية. فالمجتمع لم يكن في عزلة تامة عن العالم الخارجي ونقصد به أوروبا، بل إن روافد التواصل الفكري والحضاري كانت موجودة.

لكن بالمقابل كان لتغلغل المؤثرات الغربية في المنطقة، أن استمدت النهضة فكرية أصولها من الغرب لا من الثقافة العربية الإسلامية، فظهر الفرق بين ازدهار فكري منبثق من الأصول وآخر كان انعكاسا لوميض ثقافة غربية عن المجتمع. كما أدى إلى بروز اتجاهين ظلا يتصارعان إلى يومنا هذا؛ اتجاه محافظ يرفض التغيير والتجديد والاخذ من المدنية الغربية، واتجاه تغريبي يسعى إلى الارتماء في أحضان الآخر دون الالتفات إلى الأصول الإسلامية. وهذا ما ساهم في إجهاض التجربة النهضوية في سوريا ولبنان.

ويبدو أن جريدة الرائد التونسي سعت من خلال نقلها لأبرز المحطات التاريخية في سوريا ولبنان خلال القرن التاسع عشر الميلادي، إلى توعية نخبتها بأساسيات التجربة النهضوية والعراقيل التي قد تعترضها، وبذلك هيأت الأرضية لظهور التجربة التحديثية في تونس. وبالفعل نجحت الجريدة في تحقيق مسعاها – ولو كان نسبيا- حينما شهدت تونس ابتداء من سبعينيات القرن التاسع عشر بروز حركة فكرية علمية وأدبية نشط من خلالها التعليم بشقيه العربي الإسلامي الذي جسده جامع الزيتونة، والتعليم الحديث الذي جسدته المدرسة الصادقية. كما نشطت الصحافة التونسية بشقيها الرسمي والغير الرسمي، فبرز العديد منها كجريدة الحاضرة، والزهرة والنهضة وغيرها. إلى جانب بروز ثلة من العلماء والأدباء والشعراء الذين تركوا أثارا علمية قيمة لا تزال إلى يومنا هذا تجذب انتباه واهتمام المثقفين تونسيون كانوا أم عربا أم أجانب مثل: كتاب خير الدين التونسي المسمى بـ: أقوم المسالك في أحوال الممالك، وديوان محمود قابادو والرحلة الباريسية لمحمد العربي التونسي وغيرهم.

قائمة المصادر والمراجع:

1- أديب مروة. (1960م). الصحافة العربية نشأتها وتطورها سجل حافل لتاريخ فن الصحافة العربية قديما وحديثا. بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة.

2- ابكاريوس إسكندر بن يعقوب. (1987م). نوادر الزمان في وقائع جبل لبنان. (تحقيق عبد الكريم إبراهيم السمك) بريطانيا: رياض الريس للكتاب والنشر.

3- بوجلطي فاطمة. (2010- 2011م). انعكاسات الإمتيازات الأجنبية في بلاد الشام خلال القرن 19م. رسالة ماجستير غير منشورة، الجزائر: جامعة الجزائر 02.

4- جريدة الرائد التونسي. (17 08, 1860م). العدد 02، الصفحات 01- 04.

5- جريدة الرائد التونسي. (24 08, 1860م). العدد 03، الصفحات 01- 04.

6- جريدة الرائد التونسي. (13 10, 1860م). العدد 09، الصفحات 01- 08.

7- جريدة الرائد التونسي. (01 11, 1860م). العدد 11، الصفحات 01- 04.

8- جريدة الرائد التونسي. (11 03, 1861م). العدد 25، الصفحات 01- 04.

9- جريدة الرائد التونسي. (16 11, 1861م). العدد 18، الصفحات 01- 04.

10- جريدة الرائد التونسي. (26 10, 1861م). العدد 15، الصفحات 01- 04.

11- جريدة الرائد التونسي. (19 10, 1861م). العدد 14، الصفحات 01- 04.

12- جريدة الرائد التونسي. (25 03, 1862م). العدد 35، الصفحات 01- 04.

13- جريدة الرائد التونسي. (30 03, 1862م). العدد 36، الصفحات 01- 04.

14- جريدة الرائد التونسي. (10 02, 1863م). العدد 23، الصفحات 01- 04.

15- جريدة الرائد التونسي. (04 03, 1863م). العدد 26، الصفحات 01- 04.

16- جريدة الرائد التونسي. (1863م). العدد 39، دون صفحات .

17- جريدة الرائد التونسي. (09. 10, 1863م). العدد 14، دون صفحات.

18- جريدة الرائد التونسي. (12 06, 1864م). العدد 01، الصفحات 01- 07

19- جريدة الرائد التونسي. (05 12, 1864م). العدد 21، الصفحات 01- 04.

20- جريدة الرائد التونسي. (13 09, 1864م). العدد 10، الصفحات 01- 04.

21- جريدة الرائد التونسي. (03 05, 1865م). العدد 34، الصفحات 01- 04.

22- جريدة الرائد التونسي. (12 04, 1865م). العدد 32، الصفحات 01- 04.

23- جريدة الرائد التونسي. (19 04, 1866م). العدد 13، الصفحات 01- 04.

24- جريدة الرائد التونسي. (14 02, 1867م). العدد 33، دون صفحات.

25- جريدة الرائد التونسي. (1867م). العدد ،37 دون صفحات.

26- جريدة الرائد التونسي. (19 01, 1870م). العدد 09، الصفحات 01- 04.
27- جريدة الرائد التونسي. (05 01, 1870م). العدد 07، الصفحات 01- 04.
28- جريدة الرائد التونسي. (06 04, 1870م). العدد 01، الصفحات 01- 04.
29- جريدة الرائد التونسي. (22 06, 1870م). العدد 12، الصفحات 01- 04.
30- جريدة الرائد التونسي. (20 04, 1870م). العدد 03، الصفحات 01- 04.
31- جريدة الرائد التونسي. (16 03, 1870م). العدد 17، الصفحات 01- 04.
32- جريدة الرائد التونسي. (23 03, 1870م). العدد 18، الصفحات 01- 04.
33- جريدة الرائد التونسي. (26 04, 1871م). العدد 06، الصفحات 01- 04
34- جريدة الرائد التونسي. (16 01, 1877م). العدد 01، الصفحات 01- 08.
35- جريدة الرائد التونسي. (23 04, 1879م). العدد 18، الصفحات 01- 04.
36- الجندي خالد عبد القادر. (2016م). الحياة العلمية والثقافية في بيروت في الربع الأخير مم القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. مجلة صوت الجامعة، العدد 09، الصفحات 145- 166.
37- الحبيب محمد. (1951). تاريخ الصحافة التونسية. مجلة الزيتونة، المجلد 06، ج 01، الصفحات 350- 351.
38- خوري يوسف قزما. (1990م). أعمال الجمعية العلمية السورية 1868- 1869م. بيروت: دار الحمراء.
39- رازقي محمد البشير. (12, 2020م). مدينة تونس خلال النصف الثاني من القرن 19م من خلال جريدة الرائد التونسي: تشكل الجغرافية القانونية وبناء شبكات العلاقات الإجتماعية. المجلة الجزائرية للدراسات التاريخية والقانونية، العدد 02، صص 60- 90.
40- الرفاعي شمس الدين. (2006م). تاريخ الصحافة السورية واللبنانية من العهد العثماني حتى الإستقلال 1800- 1947م ، الجزء 01. باريس: منشورات اسمار.
41- الريماوي سهيلة. (1982م). صفحات من تاريخ الجمعيات في بلاد الشام 1850- 1908م من الجمعيات العلمية إلى الجمعيات السياسية. مجلة دراسات تاريخية، العدد 07، دمشق، الصفحات 134- 156.
42- عبد السلام أحمد. (1986م). مواقف إصلاحية في تونس قبل الحماية. تونس: الشركة التونسية.

43- السليمان عبد الله. (2018م). الصحافة العربية في ظل الدولة العثمانية. مجلة المعرفة، ع 661.

44- السنوسي محمد العربي. (2011). خير الدين والإعلام. خير الدين التونسي. تونس: المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون بيت الحكمة.

45- طاعة سعد. (2017م). دور الأمير عبد القادر الإنساني في أزمة الشام الطائفية سنة 1860م. مجلة قضايا تاريخية، العدد 05، الجزائر، الصفحات 40- 49.

46- طلحة الياس، (2017م)، تاريخ الصحافة المكتوبة في بلدان شمال إفريقيا (ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب)، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، المجلد 03، العدد 06،الجزائر، الصفحات 170- 199.

47- علواش فتيحة (2014م). الحياة الفكرية في مصر والشام خلال الفترة العثمانية من الربع الأول من القرن 16م/10هـ إلى منتصف القرن 13/19هـ. رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر. الجزائر: جامعة الجزائر 02.

48- عمايرية حفناوي. (1986). الصحافة وتجديد الثقافة العربية مثال تونس في عهد الصادق باي (1859- 1882). تونس.

49- العكيلي آراء جميل صالح. (2015م). النهضة التعليمية في بلاد الشام خلال الفترة الممتدة ما بين 1831- 1914م. مجلة الأستاذ للعلوم الإنسانية والإجتماعية، العدد 04، الصفحات 289- 333 .

50- فكري محمد همام، الرائد التونسي رابعة الصحف العربية، مجلة أعناب، العدد 08، قطر، الصفحات 52- 53 .

51- اللولب حبيب حسن، (2001م)، دور الصحافة العربية بتونس في تفعيل الوعي الوطني 1860- 1914م، رسالة ماجستير، الجزائر: جامعة الجزائر.

محمد بن عبد القادر. (1903م). تحفة الزائر في مآثر عبد القادر وأخبار الجزائر، الجزء 02. الإسكندرية: المطبعة التجارية.